

## التحرير والتنوير

وعلى هذا الوجه فوجه كون هذا الجعل لهم ظاهر لأن الآجال آجالهم . وكونه لا ريب فيه أيضا ظاهر لأنهم لا يرتابون في أن لحياتهم آجالا . وقد تضمن قوله ( وجعل لهم أجلا ) تعريضا بالمنة بنعمة الإمهال على كلا المعنيين وتعريضا بالتذكير بإفاضة الأرزاق عليهم في مدة الأجل لأن في ذكر خلق السماء والأرض تذكيرا بما تحتويه السماوات والأرض من الأرزاق وأسبابها .

وجملة ( فأبى الظالمون إلا كفورا ) تفريع على الجملتين باعتبار ما تضمنته من الإنكار والتعجب . أي علموا أن الذي خلق السماوات والأرض قادر على إعادة الأجسام ومع علمهم أبوا إلا كفورا . فالتفريع من تمام الإنكار عليهم والتعجب من حالهم . واستثناء المفور من الإباية تأكيد للشيء بما يشبه ضده . والكفور : جحود النعمة وتقدم آنفا . واختير ( الكفور ) هنا تنبيها على أنهم كفروا بما يجب اعتقاده وكفروا نعمة المنعم عليهم فعبدوا غير المنعم .

( قل لو تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا [ 100 ] ) اعتراض ناشئ عن بعض مقترحاتهم التي توهموا عدم حصولها دليلا على انتفاء إرسال بشير فالكلام استئناف لتكملة رد شبهاتهم . وهذا رد لما تضمنه قولهم ( حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ) إلى قوله ( تفجيرا ) وقولهم ( أو يكون لك بيت من زخرف ) من تعذر حصول ذلك لعظيم قيمته .

ومعنى الرد : أن هذا ليس بعظيم في جانب خزائن رحمة الله لو شاء أن يظهره لكم . ذلك في وأدمج . الخير سبيل في الإنفاق عن البخل من فيهم ما بيان الرد هذا في وأدمج A E أيضا تذكيرهم بأن الله أعطاهم من خزائن رحمته فكفروا نعمته وشكروا الأصنام التي لا نعمة لها . ويصلح لأن يكون هذا خطابا للناس كلهم مؤمنهم وكافرهم كل على قدر نصيبه . وشأن ( لو ) أن يليها الفعل ماضيا في الأكثر أو مضارعا في اعتبارات فهي مختصة بالدخول على الأفعال فإذا أوقعوا الاسم بعدها في الكلام وأخروا الفعل عنه وإنما يفعلون ذلك لقصد بليغ : إما لقصد التقوي والتأكيد للإشعار بأن ذكر الفعل بعد الأداة ثم ذكر فاعله ثم ذكر الفعل مرة ثانية تأكيد وتقوية ؛ مثل قوله ( وإن أحد من المشركين استجارك ) وإما للانتقال من التقوي إلى الاختصاص بناء على أنه ما قدم الفاعل من مكانه إلا لقصد طريق غير مطروق . وهذا الاعتبار هو الذي يتعين التخريج عليه في هذه الآية ونحوها من الكلام البليغ ومنه قول عمر لأبي عبيدة " لو غيرك قالها " .

والمعنى : لو أنتم أخصتم بملك خزائن رحمة الله دون الله لما أنفقتم على الفقراء شيئا .  
وذلك أشد في التقرير وفي الامتنان بتخييل أن إنعام غيره كالعدم .  
وكلا الاعتبارين لا ينادى اختصاص " لو " بالأفعال للاكتفاء بوقوع الفعل في حيزها غير موال  
إياها وموالاته إياها أمر أغلبي ولكن لا يجوز أن يقال : لو أنت عالم لبذت الأقران .  
واختير الفعل المضارع لأن المقصود فرض أن يملكوا ذلك في المستقبل .  
و ( أمسكتم ) هنا منزل منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول لأن المقصود : إذن لاتصفتم بالإمساك  
أي البخل . يقال : فلان ممسك أي بخيل . ولا يراد أنه ممسك شيئا معينا .  
وأكد جواب ( لو ) بزيادة حرف ( إذن ) فيه لتقويه معنى الجوابية ولأن في " إذن " معنى  
الجزاء كما تقدم آنفا عند قوله ( قل لو كان معه آلهة كما تقولون إذن لا بتغوا إلى ذي  
العرش سبيلا ) . ومنه قول بشر بن عوانة : .  
أفاطم لو شهدت ببطن خبت ... وقد لقي الهزبر أخاك بسرا .  
إذن لرأيت ليثا أم ليثا ... هزبرا أغلبا لاقى هزبرا وجملة ( وكان الإنسان فتورا ) حالية  
أو اعتراضية في آخر الكلام وهي تفيد تذيلا لأنها عامة الحكم . فالواو فيها ليست عاطفة .  
والقتور : الشديد البخل مشتق من القتر وهو التضييق في الإنفاق .  
( ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني  
لأظنك يا موسى مسحورا [ 101 ] قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر  
وإني لأظنك يا فرعون مثبورا [ 102 ] )